

مؤسسة القدس الدولية
مؤتمر القدس الحادي عشر
التحولات الاستراتيجية لقضية القدس وآليات استنهاض الأمة للدفاع عنها

بحث بعنوان:
التحولات في البيئة العربية وتأثيرها على قضية القدس

إعداد الباحث/ أ. منصور كريم
مدير الدراسات في مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية

غزة فلسطين

2017

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة أبرز التحولات في البيئة العربية عقب انطلاقة ثورات الربيع العربي، وانعكاساتها على القضية الفلسطينية بشكل عام وقضية القدس بشكل خاص، فقد أدت التحولات في المشهد السياسي العربي لوضع أصبحت فيه دولة الاحتلال الإسرائيلي تشعر بالراحة والاستقرار بعد ما كانت مهددة طول السنوات الماضية، وذلك نظراً لمستوى العلاقات والتنسيق السري والعلني مع بعض الدول العربية، بعد أن طرحت إسرائيل نفسها لهذه الدول كحليف استراتيجي في مواجهة الجماعات الإسلامية من جانب والتمدد الإيراني من جانب آخر.

وركزت الدراسة على طبيعة العلاقات الإسرائيلية العربية التي تطورت بشكل ملحوظ خلال الفترة الأخيرة، وانعكاساتها على القضية الفلسطينية بشكل عام وعلى مدينة القدس بشكل خاص، التي تشهد حالة غير مسبوقه من الإجراءات الإسرائيلية بهدف تهويدها وإفراغ سكانها منها، وأوضحت الدراسة كيف استفادت إسرائيل في تهويد القدس بعد هذه التحولات، فقد أدت الاحداث والتطورات الأمنية والسياسية على الساحة العربية إلى تراجع الدعم والتأييد العربي للقضية الفلسطينية وللمقدسات الإسلامية والمسيحية في مدينة القدس مما ساعد الحكومة الإسرائيلية على محاولة تغير الواقع السياسي والديني والديمقراطي في مدينة القدس مستغلة انشغال العرب بقضاياهم الداخلية، وقد توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج التوصيات، أهمها:

• شهدت المنطقة العربية تحولات عميقة بعد انطلاقة الربيع، فقد ترك الربيع العربي تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، فقد تأثرت به كل دول المنطقة بما فيها إسرائيل، إلا أن إسرائيل حاولت تسخير هذه التطورات لخدمة أهدافها التوسعية، عبر الاندماج في المكونات السياسية والثقافية للمنطقة.

• تعتبر مدينة القدس الأكثر تأثراً بالتحولات العربية العميقة التي حاولت الحكومة الإسرائيلية الاستفادة من انشغال العرب بقضاياهم الداخلية بهدف تعزيز سياسة الاستيطانية، حيث شكلت هذه السياسة منعطفاً بارزاً لجهة تغيير معالم القدس في محاولة لفرض واقع يهودي جديد يطمس المعالم العربية في المدينة، يصعب الفكك منه في حال تمت مفاوضات مستقبلية.

• سعت إسرائيل للاستفادة من التحولات في المشهد العربي بما يعزز عملية تهويد القدس وزيادة عدد المستوطنين فيها، وطرد سكانها وتغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى المبارك.

أولاً: المقدمة

أحدثت التحولات الاستراتيجية في البيئة العربية عقب انطلاقة الحراك الشعبي العربي "الربيع العربي"، تأثير عميقاً على الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، فقد تأثرت به كل دول المنطقة، بما فيها إسرائيل، إلا أن إسرائيل حاولت تسخير هذه التطورات لخدمة أهدافها التوسعية والاستفادة من هذه الأحداث لتنفيذ مشروعها السياسي، بهدف أن تصبح دولة محورية في المنطقة. وأدت التطورات الحاصلة في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، والمنطقة العربية بشكل خاص إلى وضع تشعر فيه إسرائيل بالأريحية نظراً للتغيرات التي حدثت في البيئة الاستراتيجية خلال السنوات التي أعقبت الربيع العربي، والتي أدت لسقوط أنظمة وانهيار دول، وما نتج عن ذلك من انتشار للجماعات المسلحة، وبروز الصراع المذهبي بين السعودية وإيران، مما ساعد إسرائيل على أن تطرح نفسها كحليف استراتيجي لبعض الدول العربية مقابل التحالف الإيراني، الأمر الذي انعكس بشكل سلبي على القضية الفلسطينية، وعلى الحقوق الوطنية الفلسطينية.

لقد عملت الحكومة الإسرائيلية على تهويد مدينة القدس عبر الاستفادة من انشغال العرب بقضاياهم الداخلية، من خلال سياسة هدم المباني ومصادرة الأراضي وفرض حقائق جديدة في المسجد الأقصى المبارك، في ظل غياب للبعد العربي والإسلامي بسبب تداعيات التحولات في البيئة الإقليمية والعربية، فكل المؤشرات تؤكد أن "الربيع العربي" أو الحراك الشعبي العربي قد أحدث مجموعة من التحولات الاستراتيجية في البيئة العربية حيث أدت هذه الظاهرة لتداعيات خطيرة على أمن واستقرار المنطقة العربية، بسبب محاولة القوى الغربية الاستفادة منها وتجييرها لخدمة مصالحها، واقامة مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي يقوم على اساس دمج إسرائيل في المكون السياسي والثقافي لشعوب المنطقة، فجاء ذلك على حساب الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية، وبروز صراع جديد غير الصراع العربي الإسرائيلي، هذا الصراع يقوم على اساس طائفي ومذهبي وعرقي، الأمر الذي صب لصالح الاستراتيجية الإسرائيلية التي حاولت منذ زمن تعزيز النعرات الطائفية والمذهبية بهدف تقنيت المنطقة العربية لسهولة اختراقها.

وسوف تحاول هذه الدراسة بحث العلاقة بين التطورات السياسية والأمنية الحاصلة في المشهد العربي وتأثير ذلك على الأوضاع في مدينة القدس التي حاولت الحكومة الإسرائيلية استغلال انشغال العرب بقضاياهم الداخلية لتثبيت حقائق جديدة على الأرض، عبر فرض تقسيم زمني ومكاني في المسجد الأقصى المبارك.

ثانياً: مشكلة الدراسة

تركت التحولات في البيئة العربية تداعيات كبيرة على القضية الفلسطينية، عقب بروز الصراع الإقليمي بين المحور العربي والمحور الإيراني الأمر الذي أدى لتحول إسرائيل من عدو لحليف استراتيجي لبعض الدول العربية في مواجهة إيران من جانب والجماعات الإرهابية من جانب آخر، الأمر الذي جاء على حساب الحقوق الوطنية الفلسطينية بشكل عام ومدينة القدس بشكل خاص، حيث حاولت إسرائيل استغلال انشغال العرب بقضاياهم الداخلية بهدف فرض حقائق جديدة على الأرض، بإحداث تقسيم مكاني وزماني في المسجد الأقصى والإسراع في تهويد مدينة القدس من أجل تهجير سكانها وتثبيت حقائق على الأرض تؤخذ في الاعتبار خلال أي مفاوضات قادمة للحل السياسي، وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن تساؤل رئيس، مفأدة، ما أثر

التحولات في البيئة العربية على مدينة القدس؟

ويتفرع من هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية:

1. ما هي أبرز التحولات في البيئة الإقليمية والعربية؟
2. كيف استغلت إسرائيل هذه التحولات لصالحها؟
3. ما هو واقع العلاقات العربية والإسرائيلية في ضوء هذه التحولات؟
4. ما هي تداعيات التحولات الإقليمية والعربية على مدينة القدس والمقدسات فيها؟

ثالثاً: أهداف الدراسة

تحاول الدراسة تحقيق مجموعة من الأهداف، ومنها:

- معرفة أبرز التحولات في البيئة الإقليمية وتأثيرها على الحقوق الفلسطينية.
- تحليل وتوضيح تداعيات التحولات الإقليمية على مدينة القدس.
- دراسة كيفية استفادة إسرائيل من التحولات الإقليمية بما يعزز الاستيطان في القدس.
- استشراف مستقبل المدينة المقدسة في ظل التحولات الإقليمية والعربية السياسات الإسرائيلية المتعبة.

رابعاً: أهمية الدراسة

تتبع أهمية هذه الدراسة، كونها

- تبين أهم مظاهر التحولات في البيئة الإقليمية والعربية وكيفية استفادة إسرائيل منها.
- توضح السياسات الإسرائيلية الممنهجة تجاه مدينة القدس، والأماكن المقدس فيها.

- تساعد الباحثين والطلاب المهتمين بقضايا الصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية.
- توضح مخاطر التحولات في البيئة العربية تجاه العلاقة مع إسرائيل على حقوق الشعب الفلسطيني.

خامساً: منهجية الدراسة

- **المنهج التاريخي:** للتأصيل والبحث عن العلاقات العربية الإسرائيلية، وانعكاساتها على القضية الفلسطينية.

- **المنهج الوصفي التحليلي:** وهو أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة وموضوعية عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة⁽¹⁾. وسوف تستخدم الدراسة هذا المنهج لوصف وتحليل أبرز مظاهر التحول في البيئة الإقليمية، وكيفية استفادة إسرائيل منها.

حدود الدراسة - الحدود الزمني

تبدأ فترة الدراسة منذ عام 2010م، وهو العام الذي شهد انطلاقة الحراك الشعبي العربي "الربيع العربي"، وتنتهي حدود الدراسة في عام 2016، وهو العام الذي شهد محاولات إسرائيلية لتقسيم المسجد الأقصى على مستوى المكان والزمان، بين المسلمين واليهود.

- **الحدود المكاني:** تتحدد حدود هذه الدراسة في فلسطين والمحيط الجغرافي العربي والإقليمي

¹- دويدري، رجا، وحيد: البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر، دمشق: 2000، ص 185.

المحور الأول:

إسرائيل والتحول في البيئة العربية

شهدت المنطقة العربية تحولات عميقة بعد انطلاقة الربيع، فقد ترك الربيع العربي تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، فقد تأثرت به كل دول المنطقة، بما فيها إسرائيل، إلا أن إسرائيل حاولت تسخير هذه التطورات لخدمة أهدافها التوسعية والاستفادة من هذه الأحداث لتنفيذ مشروعها السياسي وإيجاد الحدود الآمنة، عبر الاندماج في المكونات السياسية والثقافية للمنطقة.

أولاً: تأثير الربيع العربي على دول المنطقة

أحدث "الربيع العربي" أو الحراك الشعبي العربي مجموعة من التحولات الاستراتيجية في بنية النظام السياسي العربي مما انعكس بشكل إيجابي على الأمن القومي الإسرائيلي، حيث أدت هذه الظاهرة لتداعيات خطيرة على أمن واستقرار المنطقة العربية، بسبب محاولة القوى الغربية الاستفادة منها وتجييرها لخدمة مصالحها، واقامة مشروع الشرق الأوسط الكبير، الذي يقوم على اساس دمج إسرائيل في المكون السياسي والثقافي لشعوب المنطقة، فجاء ذلك على حساب الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية، وسمح ببروز صراع جديد غير الصراع العربي الإسرائيلي، هذا الصراع يقوم على أساس طائفي ومذهبي وعرقي الأمر الذي صب لصالح الاستراتيجية الإسرائيلية التي حاولت منذ زمن تعزيز النعرات الطائفية والمذهبية بهدف تفتيت المنطقة العربية لسهولة اختراقها، وهذا ما أكده تقرير الأمن القومي الإسرائيلي الذي أعده معهد بحوث الأمن القومي الإسرائيلي برئاسة عاموس يدلين، رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الأسبق (أمان) عام 2016.

لقد راقبت إسرائيل الأحداث في المنطقة العربية بعين القلق، واسرعت إلى دراسة السيناريوهات المستقبلية لتحديد شكل علاقاتها في مرحلة ما بعد الثورات، مع محيطها العربي، وكان يتلخص الموقف الإسرائيلي في بداية الأحداث مجمله في عدة اتجاهات، الأول: يعتقد بوجود مخاطر حقيقية على الأمن القومي الإسرائيلي جراء الثورات العربية. الثاني: أنه لا شيء جوهري سيتغير ويكون له تداعيات على إسرائيل، وأن الأمور ستمضي وفقاً للتقديرات الإسرائيلية الموضوعية. الثالث: وجود بعض المخاطر على إسرائيل، ولكنه يستبعد أن تظهر آثارها على المدى القريب، إلا أن الاتجاه الغالب في إسرائيل، يرى أن الثورات العربية ستكون لها تداعيات أمنية واستراتيجية

على إسرائيل، بعضها سيكون في المدى القصير، بينما ستظهر آثار بعضها الآخر على المدى البعيد (2).

ويمكن رصد الاتجاهات التالية في الخطاب الإعلامي، والتحركات الدبلوماسية الإسرائيلية أثناء اندلاع الثورات العربية عامة والمصرية خاصة، وفي أعقابها، والتي كانت موجهة بالأساس للرأي العام وللحكومات في الغرب، ومنها التخويف من عدم الاستقرار في المنطقة بعد نجاح الثورة المصرية وسقوط النظام المصري، والتحذير من مخاطر عدم الاستقرار على دول المنطقة، وعلى المصالح الغربية فيها. والتأكيد على أن الديمقراطية هي في مصلحة إسرائيل من حيث المبدأ، ولكن مع التخويف من أن "جهات متطرفة" كالأخوان المسلمين قد تستغل الديمقراطية لفرض الاستبداد والانفراد بالسلطة، وهو ما يضر بالمصالح الغربية في المنطقة. تنكير الغرب بأن الأحداث الجارية في مصر وغيرها من الدول العربية، تثبت أن إسرائيل هي الحليف الوحيد للغرب في المنطقة (3).

وكان قلق الطبقة الحاكمة في إسرائيل والنخب المرتبطة بها، من أن الثورات العربية ستنتهي بسيطرة الإسلاميين يهدف بشكل أساسي إلى بلورة انطباع مفاده أن العرب لا يستحقون الديمقراطية، ويشير إلى أن أي نظام حكم ديموقراطي نيابي سيسمح حتماً لكل القوى الاجتماعية بالتعبير عن نفسها، وضمن ذلك القوى المتدينة، مستذكراً حقيقة أن الإدارة الأمريكية السابقة كانت مرتبطة بشكل كبير بالأصوليين البروتستانت الذين هم في نفس الوقت أوثق حلفاء إسرائيل في الولايات المتحدة (4).

ودعت النخب الفكرية في إسرائيل إلى استخلاص الاستنتاجات الموضوعية مما حدث في مصر، بدلاً من إثارة المخاوف من وصول الإسلاميين للحكم، وعلى رأس هذه الاستنتاجات التسليم بأن الرأي العام العربي لم يعد مستعداً لمنح ثقة غير محدودة لقيادته على المستوى الحزبي، الاقتصادي أو السياسي، حيث أن هذا جمهور يرى نفسه متساوي القيمة - وإن لم يكن متساوي القوة - مع الجمهور في الدول الغربية. يشدد الكاتب الإسرائيلي "حجاي العاد" على أن التحذير الإسرائيلي من إمكانية وصول الإسلاميين للحكم، والزعم بأن العرب سيتجهون حتماً للدكتاتورية ينطوي على أبعاد عنصرية، ويرى "العاد" أن لسان حال النخب الحاكمة والمعلقين في إسرائيل،

² فهمي، طارق: "الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية"، مجلة الديمقراطية، مصر- الأهرام، مجموعة 12، ع46، 2012، ص101.

³ الهندي، عليان، "القراءة الإسرائيلية للثورات العربية"، شؤون فلسطينية، فلسطين، المجلد/ العدد 247، 2012، ص157-

⁴ المرجع السابق، ص 158.

وتحديداً المستشرقين، يقول: "الديمقراطية كبيرة على العرب"، فالإسرائيليون - في نظره - لا يريدون أن يسلموا بأن العرب يقدرّون على إدارة شؤونهم بشكل ديمقراطي".
كما أن التخوف الأكبر كان من قوة الجيش المصري، الذي ربما سيتحول إلى أداة بيد "المتطرفين" حسب وجهة النظر الإسرائيلية، بعد أن تم تحييد هذا الجيش طيلة فترة النظام السابق. وفقدان الثقة بإمكانية استمرار إدارة الوضع على الحدود المصرية الإسرائيلية، بنفس الأسلوب الذي كان عليه خلال العقود الثلاثة الماضية، والتخوف من تقليص الضمانات التي كان يقدمها النظام المصري السابق لإحكام الحصار على قطاع غزة ومنع تهريب الأسلحة إليه، وهو ما قد يستدعي إعادة الجيش الإسرائيلي لاحتلال الشريط الحدودي المعروف بـ "ممر صلاح الدين" بين قطاع غزة وسيناء.

الزيادة المتوقعة في حجم الإنفاق على الدفاع والتسليح، لمواجهة التغييرات الاستراتيجية بعد سقوط النظام المصري، حيث تشير المصادر الإسرائيلية إلى أن النظام المصري كان يتبنى سياسة ملتزمة تجاه معاهدة كامب ديفيد، وهو ما أدى إلى خفض موازنة الدفاع الإسرائيلية خلال المرحلة السابقة من 30% إلى 9% من إجمالي الناتج المحلي. القلق من نتائج الصراع بين "القوى الديمقراطية وقوى الإسلام الراديكالي" على قيادة مصر إلى ما بعد الثورة، حسب قول رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو، الذي أبدى تخوفه من حسم هذا الصراع لصالح سيطرة الإسلاميين على الحكم في القاهرة (5).

كما أن احتمال عودة الخطر إلى الجبهة الجنوبية المترامية الأطراف مع مصر أدى لإعادة نشر الجيش الإسرائيلي، وتوسيع الذراع البرية، وإعادة تدريبه على القتال على عدة جبهات بعد أن اكتفى بالتدريب على جبهة واحدة خلال الثلاثين عام الماضية وهذا تطلب تخصيص مبالغ مالية طائلة، والأمران غير متوفران حيث لا ميزانيات ولا حتى جنود لنشرهم بعدما تحول "جيش الشعب" إلى "جيش نصف الشعب" وربما يتحول إلى "جيش ربع الشعب" في العقود القادمة، حسب التعبير الساخر لإيهود باراك، سبب عدم تجنيد المتدينين فيه، الخوف الإسرائيلي من التحول التدريجي لمصر لتصبح دولة إقليمية قوية على النمط التركي، هو الخطر الذي ألقها، وهو ما يضع إسرائيل في مواجهة محور إقليمي يضم إيران وتركيا ومصر. تضيق الهامش الذي كانت تتحرك فيه السياسة الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة، في ظل التوقعات بنشوء حكومات مختلفة في بعض الدول العربية، يكون للرأي العام الشعبي دور أكبر في تشكيل سياساتها،

⁵ فهمي، طارق: "الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية"، مجلة الديمقراطية، مصر- الأهرام، مجموعة 12، ع46، ص102-104

بالإضافة للقلق من استمرار حالة عدم الاستقرار في المنطقة العربية، حيث أكد عدد من المسؤولين الإسرائيليين، أن الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط هو أهم من الديمقراطية بالنسبة لإسرائيل (6).

وكان يعود السبب الأول للقلق الإسرائيلي في بداية الأحداث في المنطقة العربية عقب انطلاقة الحراك الشبابي العربي إلى الخوف من زيادة عزلة إسرائيل في المنطقة، بعد أن خسرت حليفها الاستراتيجي بعد انهيار حكم مبارك، رؤية الحكومة الإسرائيلية أن الوضع بعد الثورات العربية سيكون له تداعيات إقليمية واسعة، وقد يؤدي على المدى القريب أو المتوسط إلى انهيار الأنظمة الحليفة للولايات المتحدة وصعود وتقوية الأنظمة المعادية لها، والنتيجة إقليم جديد مختلف غير خاضع للهيمنة الأمريكية التي تصب في مصلحة إسرائيل وأمنها أيضاً، إضافة للهواجس من قيام انتفاضة فلسطينية ثالثة، على غرار الانتفاضة الأولى، في الضفة الغربية وداخل الخط الأخضر (7).

ويندرج ظهور إسرائيل بهذا المظهر "القلق" على خلفية نيران الثورات العربية في قائمة تسويق الثورات العربية بأنها ليست مطلباً للحرية بقدر كونها فوضي في العالم العربي، وتشكل خطراً على إسرائيل، هذا يجعل دول الغرب والولايات المتحدة تقوم بتوفير كل دعم ومساعدة للحفاظ على هذا الكيان الذي تم صنعه وفقاً لأجندة غربية منذ قرابة ستة عقود ليكون رافعة لتحقيق مصالحه وإبقاء حالة التمزيق في العالم العربي، من هنا يمكننا إدراك، سعي إسرائيل عبر أدواتها الإعلامية وقنواتها الدبلوماسية إلى تصوير الثورات العربية بأنها "خريف إسلامي" (8)، مستفيدة من صورة "الإسلام الإرهابي" الذي كونته وابتدعته وسوقته الإدارة الأمريكية من أيام بوش الأب ثم الابن، وجرت معها الدول الأوروبية وغيرها، ووسط هذا الخريف تعلن إسرائيل أنها في حالة قلق وخوف وفزع شديد على وجودها، ويرتبط هذا الأمر بقوة تصعيد إسرائيلي وأمريكي للملف الإيراني، وإبقائه حاضراً بقوة ونفاذ على سطح المناقشات السياسية والإعلامية العالمية، ففي ظل الخوف والرعب التي تدعيها إسرائيل في موجات الثورات العربية، تجد إيران نفسها زعيمة في الشرق الأوسط، وهذا الخطر الآخر الذي تدعيه إسرائيل على وجودها، لذا إسرائيل تحاول أن تستفيد من كل الظروف والبيئات السياسية المحتممة في الشرق الأوسط، فهي تحاول أن تثير فزاعة إسلاميو فوبيا، والثورات العربية، والملف الإيراني وتوظف كل ذلك في خدمة مصالحها.

⁶ فهمي، طارق: "الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية"، مجلة الديمقراطية، مصر - الأهرام، مجموعة 12، ع46، ص104-106-

⁷ المرجع السابق، ص 110-112

⁸ أطلق الجنرال ايل ايزنبرغ قائد الجبهة الداخلية في إسرائيل، مصطلح خريف إسلامي راديكالي، على الربيع العربي مدعياً أن حرباً إقليمية شاملة وضروس ستحل على المنطقة.

لا شك إن إسرائيل كانت تشعر بالقلق مع انطلاقه الحراك الشعبي العربي، أو ما كان يطلق عليه ثورات الربيع العربي، نظراً لتخوفها من سيطرة الإسلاميين على الحكم، ولكن سرعان ما تبدد هذا الخوف مع التحولات التي حدثت في المشهد العربي، عقب انحصار الظاهرة، وحالة الفوضى التي اجتاحت المنطقة، التي ساعدتها في التخلص من أنظمة وجيوش كانت تعتبرها مصدر تهديد.

ثانياً: انعكاس التحولات الإقليمية على إسرائيل

بعد مرور أكثر من خمس سنوات على انطلاقه الحراك الشعبي العربي، الذي أدى لتحولات عميقة في البيئة الإقليمية المحيطة بإسرائيل، حاول عن معهد بحوث الأمن القومي الإسرائيلي التابع لجامعة تل أبيب، رصد أبرز التحولات في البيئة الإقليمية المحيطة "بالدولة العبرية" ولا سيما الازمة السورية والازمة اليمنية والبرنامج النووي الإيراني، ورصد ملامح الفكر الوقائي الإسرائيلي وتحدد نهج عملها سياسياً وعسكرياً ودبلوماسياً واقتصادياً في السنوات الخمس المقبلة، عبر تقرير الأمن القومي الإسرائيلي الذي صدر بداية عام 2016م ووضع التقرير توصيات بشأن الاستراتيجية التي ينبغي العمل عليها في السنوات الخمس المقبلة.

وركز التقرير على الفترة الزمنية التي بدأت عام 2011 وصولاً إلى الفترة الحالية، أي الخمس سنوات الفاصلة في تاريخ المنطقة بالكامل، وما لها من تأثيرات على الوضع الإقليمي لإسرائيل، حيث يعتبر العنوان العريض لخلاصة هذه الفترة الزمنية هو "ضعف الدول العربية المحورية إلى درجة التفكك" ودخول الشرق الأوسط في مجموعة من الإشكاليات المعقدة، واتسامه بالعنف وحروب الوكالة والتدخل المباشر للقوى العالمية. وأكد التقرير إنه بمرور خمسة أعوام على بدء الاضطرابات الإقليمية الدراماتيكية جديدة الصنع وغير المتوقعة، والغير محددة المعالم في الوطن العربي، فإن التوقيت الحقيقي، الذي تفككت خلاله دول وسقطت أنظمة واندلعت حروب ولم ينتهي بعد، وفتت في الوقت عينه إلى أنه من الواضح أن هذا هو الواقع الذي سيرافقنا في المستقبل القريب⁽⁹⁾.

فمع اندلاع الثورات العربية في كانون الأول 2010م واجهت إسرائيل ثلاثة تحديات أساسية على المستوى الإقليمي، أولاً: الملف النووي الإيراني، ثانياً: مواجهة التغييرات السياسية والاستراتيجية المتسارعة في البيئة الإقليمية، وبخاصة في دول الجوار، ثالثاً: إدارة الصراع مع

⁹- لمزيد من المعلومات، أنظر: ملخص تقرير الأمن القومي الإسرائيلي (الفرص والتحديات)، ترجمة مركز رؤية للدراسات السياسية والاستراتيجية، غزة فلسطين، 2016، ص 1

الفلسطينيين في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية، حيث عملت إسرائيل ولا تزال، على الاستفادة من انشغال العالم العربي بنفسه، لتعزيز مواقعها الإقليمية على المدى القصير والبعيد⁽¹⁰⁾. فالمنطقة دخلت خلال السنوات الماضية في مجموعة من الصراعات المتنوعة كان أولها: الصراع الاجتماعي الاقتصادي الذي أشعل الربيع العربي، والذي قاده شباب محبطون أغلقت في وجوههم جميع السبل وشعروا أنهم لا يستطيعون تحقيق تطلعاتهم، فهذه الأحداث التي بدأت منذ أن خرج هؤلاء الشباب إلى الميادين أبعدهم أكثر عن الهدف المرجو منه. أما الصراع الثاني: وهو الصراع الطائفي بين السنة والشيعة حول الهيمنة الإقليمية، حيث تموضعت جبهة سنية منهارة ومتنازعة تضمنت العربية السعودية وتركيا ومصر والأردن ودول الخليج، ضد الهيمنة المتنامية للمحور الشيعي بقيادة إيران، بالإضافة للصراع ضد عناصر الجهاد السلفي وهم القاعدة والدولة الإسلامية داعش.

وضعت الصراعات متعددة الاتجاهات دولة الاحتلال الإسرائيلي أمام تحديات من الوزن الثقيل، وإلى جانب فرص كثيرة لتصميم بيئة استراتيجية من نوع آخر، لأن السياسة الإسرائيلية كيّفت نفسها مع التغيرات المتواترة، ولاسيما من خلال تعزيز مكونات الدفاع والامتناع عن التدخل ما أمكن ذلك، وأكد التقرير أن إسرائيل ظلت ثابتة عند قدرتها على بناء روافع تأثير على الأقل في محيطها الاستراتيجي القريب، وهي مستمرة في البناء على منطقيات ومعطيات وقواعد لم تعد سارية المفعول، فالتحدي والفرصة الأكثر أهمية بالنسبة لإسرائيل في اعتماد طرق تفكير مستحدثة والفهم أنها تعيش ذروة معركة مصيرية لرسم معالم وجه الشرق الأوسط الجديد، وبلورة مفهوم يفتش عن الفرص وتطوير مزيج جديد من الأدوات والوسائل متعددة المجالات، بهدف تحقيق الأمن القومي الإسرائيلي⁽¹¹⁾. فالرؤية الإسرائيلية كانت ترى أن لهذه التطورات انعكاسات كبيرة عليها، لذلك عملت على تقادي التداعيات السلبية، عبر محاولة استغلال هذه التطورات والتحويلات الاستراتيجية بما يخدم المصلحة الإسرائيلية، بهدف إيجاد موقع لها في البيئة الإقليمية الجديدة، وفرض الأمر الواقع في الضفة الغربية عبر سياسة الاستيطان بضم مناطق منها للسيادة الإسرائيلية بشكل رسمي، وذلك من خلال تعزيز علاقتها الإقليمية مع الدول العربية التي تصنفها "معتدلة" عبر الدخول من بوابة المصالح الآنية التي فرضها الواقع، وأيضا من

¹⁰- مصطفى، مهند، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحويلات الاستراتيجية والحالة الفلسطينية، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات) رام الله فلسطين 2016، ص 27

¹¹- أبو كريم، منصور، البعد الإقليمي في تقرير الأمن القومي الإسرائيلي، ورقة عمل في مؤتمر قراءة في تقرير الامن القومي الإسرائيلي (فرص وتحديات) مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية، 2016، ص 4/3

خلال تعزيز علاقتها مع دول مؤثرة في الجوار العربي مثل تركيا واليونان والهند ودول القارة الأفريقية (12).

كما أحدث الربيع العربي على إسرائيل أثراً كبيراً على سياستها الداخلية والخارجية، فقد تعاملت الحكومة الإسرائيلية بزعامة "بنيامين نتنياهو" مع الثورات العربية كمن أبحر عبر مياه غير مستقرة في الشرق الأوسط، بفعل الظروف غير المواتية في الداخل والخارج، وهذا مأكده البروفيسور "أفرايم عنبار" الذي تناول عبر جملة من النقاط الأساسية الآثار الكبيرة للربيع العربي على الأمن القومي الإسرائيلي، والمتمثلة في: إضعاف الدول العربية الحليفة لإسرائيل، التغيرات في موازين القوى في المنطقة لغير صالح إسرائيل، والانسحاب الأميركي الواضح من المنطقة، ثم يركز على المخاوف الجديدة التي تهدد الأمن القومي الإسرائيلي، من بينها تصاعد مخاطر التغير السريع والمفاجآت الاستراتيجية، وزيادة النشاط المسلح المعادي، وانخفاض الردع الأمني، وتزايد العزلة الإقليمية، والتهديد النووي الإيراني، مقترحاً جملة من النقاط لإبداء استجابة إسرائيل لهذه التهديدات، بما في ذلك توسيع الجيش لمكانته، وزيادة الاستثمار في البحث والتطوير، وإقامة حدود يمكن الدفاع عنها، وتشكيل تحالفات إقليمية جديدة، والحفاظ على علاقتها الخاصة مع الولايات المتحدة (13).

التطورات التي أحدثتها ثورات الربيع في البيئة الاستراتيجية المحيطة بإسرائيل تطلبت تعزيز عناصر الدفاع وعدم التدخل مما توجب عليها اعتماد طرق التفكير الاستراتيجية للتعامل مع تطورات البيئة الإقليمية من خلال فهم دقيق لطبيعة منطقة الشرق الأوسط، في موقعها ومكانتها، والحاجة إلى صياغة مفهوم جديد يتم من خلاله البحث عن الفرص وتطوير مزيج جديد من الأدوات والجهد. فالمبدأ الأكثر أهمية في تشكيل أجندة إقليمية لتعزيز أمن إسرائيل ينطلق من فهم أن هناك علاقة وثيقة بين التطورات الميدانية واتجاهات القوى الإقليمية، ولذلك يجب على إسرائيل بناء علاقات مع الذين يقرون لها بدور مهم في تشكيل وتحقيق الاستقرار في المنطقة، ولتحقيق لهذه الغاية يجب على إسرائيل مد جسور التعاون مع الجزيرة العربية.

وعليه يمكن القول أن التطورات الأمنية والسياسية في المنطقة العربية التي حدثت بعد انطلاقة الربيع العربي خدمت إسرائيل كثيراً، لأنها استطاعت الاستفادة من التحولات في البيئة الإقليمية

12- مصطفى، مهدي، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والحالة الفلسطينية، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات) رام الله فلسطين 2016، ص 27
13 أبو عامر، عدنان، الربيع العربي وإسرائيل، الجزيرة نت، على الرابط التالي: <https://goo.gl/59HChX>

والعربية، بهدف تعزيز أمنها عبر الولوج لنظام العربي من خلال الاستفادة من حالة الصراع والتفكك التي تشهدها المنطقة العربية، بعد الحراك الشعبي العربي، والتي أدت لانتهيار دول وسقوط أنظمة، مما سمح لإسرائيل بالتمدد في العلاقات السياسية والأمنية مع بعض الدول العربية، على حساب الحقوق الفلسطينية.

ثالثاً: انعكاس التحولات الإقليمية على علاقات إسرائيل بالدول العربية

شهدت العلاقات العربية الإسرائيلية منحنى خطير بعد موجه الحراك الشعبي العربي التي أدت لسقوط أنظمة سياسية كانت تعتبر محورية في المنطقة، ودخول أنظمة أخرى في أتون الحرب الأهلية مما سمح لإسرائيل بالتوسع والانتشار، خاصة في ظل تنامي حالة الصراع الطائفي والمذهبي بين دول الخليج وعلى ارسها السعودية وإيران، مما حدا بإسرائيل أن تطرح نفسها كحليف استراتيجي لهذه الدول في مواجهة الإرهاب والتمدد الإيراني في المنطقة العربية.

لقد استفادت إسرائيل كثيراً من الصراع الإقليمي بين السعودية وإيران، فقد أدى هذا الصراع بعد محاولة السعودية ودول الخليج التصدي لخطر التمدد الإيراني في المنطقة إلى بروز الدور الإسرائيلي في مساندة الأطراف العربية، وهو دور مفيد للغاية لإسرائيل لأن السعودية انتهجت سياسة التصدي لإيران بأي ثمن⁽¹⁴⁾، فهذا الوضع وجدت فيه إسرائيل نفسها قادرة على المناورة في شرق أوسط متغيرة ومتقلب، وأيضاً وجد نفسها قادرة على تجميد مقصود للعملية السلمية، وقادرة على الاستمرار في تصوير المشروع النووي الإيراني بأنه أكبر خطر في التاريخ على إسرائيل ذاتها وعلى العالم أجمع، وأن الربيع العربي لا يشكل خطراً عليها في الظروف الراهنة التي يعيشها العالم العربي، لأن انشغال العرب بقضاياهم وفي مقدمتها إعادة تشكيل أنظمة الحكم التي سقطت، وإعادة بناء منظومتها الداخلية، يوفر لإسرائيل فرصاً مؤقتة للتحرك بحرية أكثر، إلا أن مصر بعد سقوط مبارك اتجهت نحو القضية الفلسطينية بصورة إيجابية ومغايرة لما تريده إسرائيل⁽¹⁵⁾.

¹⁴ يعتقد شاولو يناي أن السعودية شريكة في هذه الحرب لحماية لمصالحها، فالخطر الإيراني مشترك لإسرائيل وللسعودية. شاولو يناي: "الحرب الباردة في الشرق الأوسط" إيران إسرائيل، موقع عبري ممكن التفكير، مترجم، تاريخ النشر: 14 نوفمبر 2014، على الرابط التالي: <https://goo.gl/cLb9pY>

¹⁵ منصور، جوني: "أثر الثورات العربية على عملية السلام في الشرق الأوسط، المرجع السابق، ص55.

كما ألفت التطورات الإقليمية بظلالها على القضية الفلسطينية، فوفقاً لوليد العمري مدير مكتب الجزيرة في الأراضي الفلسطينية، فإن "النزاع الإسرائيلي - العربي أصبح حتماً خارج دائرة الضوء اليوم، ثمة الكثير من الأحداث الدراماتيكية التي تحصل في عدد من الدول العربية، حيث إنّ الشأن الفلسطيني لا يجد له مكاناً في قائمة الأخبار الخمسة الأولى، أو حتى الأخبار العشرة الأولى، لم يعد في وقت الذروة". حتى إن العمري اعترف أنه في ظل التطورات الدراماتيكية في سورية، انخفضت نسبة مشاهدة الشبكات العربية الكبرى كالجزيرة والعربية بشكل حاد، فيما ترتفع نسبة الاطلاع على الإعلام المحلي التقليدي (المطبوع والمرئي) لصالح شبكات التواصل الاجتماعي⁽¹⁶⁾. فقد مثلت هذه التحولات العربية من جهة، والسياسات الإسرائيلية نحو التكيف مع هذه المتغيرات من جهة ثانية، فرصة لإسرائيل لإعادة بلورة استراتيجية إقليمية تسعى من خلالها لتهميش الموضوع الفلسطيني، عبر تعزيز علاقاتها مع بعض الدول العربية، بإقامة علاقات حسن جوار بغض النظر عن حل القضية الفلسطينية، لذلك اعتبر إسرائيل ذلك انتصاراً سياسياً، تمكنت من خلاله إقامة جسر من العلاقات والتحالفات الاستراتيجية بدون مقابل حقيقي، مما حدا برئيس الحكومة الإسرائيلية بطرح مفهوم الحل الإقليمي، الذي يركز على مبدأ مشاركة كل الدول الإقليمية في إيجاد حل للقضية الفلسطينية.

ففي مقابلة صحفية حول التعاون الأمني الإقليمي تحدث رئيس الشاباك الإسرائيلي السابق "يورام كوهين"، في مقابلة استثنائية للمرة الأولى مع موقع NRG العبري، تحدث عن مستوى العلاقات الذي ازداد مع مسؤولين بارزين في الدول العربية الجارة فأجاب: "في السنوات الأخيرة تطورت العلاقات بيننا وبين كل الجهات القريبة منا، فهم مهنيون، وطنيون يتميزون بفخر قومي تجاه بلادهم، إنهم لا يعملون من أجلنا، لا يعملون وفق تعليماتنا، بل يعمل كل منهم من أجل مصلحة بلاده. تزداد هذه العلاقة عند وجود مصالح أمنية مشتركة - عدو أو مشكلة مشتركة، وعندها يمكن توسيع العلاقة أو تعزيزها، لا يكون ذلك ممكناً في أحيان كثيرة بسبب الرأي العام، الحساسية الاستخباراتية، السياسية أو الدولية، وحتى بسبب علاقات هذه الدولة مع دول أخرى. ولكن التنسيق بيننا وبين جهات أمنية في دول تربطنا بها علاقة سلام جيدة، متقدمة، وتتجح في إنقاذ حياة الكثيرين"⁽¹⁷⁾.

¹⁶ كسانيا سبطلوفة، العلاقات الإسرائيلية - العربية ما بعد الربيع العربي، موقع المصدر الإسرائيلي، 2013، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/nTMtbG>

¹⁷ للمرة الأولى: رئيس الشاباك سابقاً يكشف عن أمور كثيرة ويؤكد: "التنسيق الأمني" يخدم أمن إسرائيل فعلاً، وكالة أمد للإعلام،

على الرابط التالي: <https://goo.gl/VGkiWH>

حاولت إسرائيل استغلال التحولات العميقة التي أحدثتها تطورات الأوضاع الأمنية والسياسية في المنطقة، بهدف تصميم الخارطة الجيوسياسية الجديدة في الشرق الأوسط، بما يعزز مصالحها، السياسية على حساب الحقوق الفلسطينية، عبر إقامة علاقات طبيعية مع الدول العربية، بغض النظر عن تحقيق السلام أو حل القضية الفلسطينية.

ثالثاً: انعكاس التطورات الإقليمية على القضية الفلسطينية

لا شك أن التحولات في البيئة الإقليمية قد القت بظلالها على الصراع العربي الإسرائيلي وخاصة على القضية الفلسطينية، بسبب تشابك العلاقة الفلسطينية والإسرائيلية، والتأثير المباشر لأي حدث عربي أو إقليمي على القضية الفلسطينية، حيث شهدت المنطقة العربية خلال السنوات الأخيرة اضطراباً في ملامح النظام الإقليمي من جراء التحول البنائي الذي أحدثته الثورات العربية على المنطقة، وقد أكسبت تلك الأحداث إسرائيل مجموعة من الفرص التي ساعدتها على التقدم نحو الولوج إلى عملية تطبيع مع العالم العربي عبر بوابات خلفية. وفي غضون ذلك، تبقى حالة التقارب العربي الإسرائيلي، التي تتمركز حول عدد من القضايا ذات الاهتمامات المشتركة، واجهةً للمشهد الجيوسياسي بالمنطقة خلال المستقبل القريب. لكن تلك العملية لا تضمن قبول الوجود الإسرائيلي بمنطقة الشرق الأوسط أو استمرار الروابط الطبيعية بينها وبين دول المنطقة. وتحاول إسرائيل تصوير القضية الفلسطينية بأنها ليست ذات صلة بأمور التطبيع، في أعقاب تزايد فرص التعاون الاستراتيجي مع الدول العربية. بيد أن غياب الحلول للصراع الإسرائيلي المستمر مع الفلسطينيين، سوف يبقى حجر العثرة الذي يعوق أي تطور في العلاقات مع الدول العربية.

ولعل ما يميز القضية الفلسطينية عن غيرها من قضايا التحرر المماثلة لها هو أن أصحابها الذين تنسب إليهم سياسياً وجغرافياً لا يملكون وحدهم منفردين اتخاذ قرارات مصيرية بخصوصها في مواجهة الطرف الآخر في الصراع دون تدخل إحدى إرادتين أخريين فرضتهما الجغرافيا والتاريخ والعقيدة والمصلحة المشتركة. هاتان الإرادتان تمثلان دائرتي العروبة والإسلام بصرف النظر عن تداخلهما أو عن تعددية الكيانات والجماعات والفواعل التي تنطلق من إحدى هاتين الدائرتين. إن ما يعطي هاتين الدائرتين مصداقية التأثير وحتمية التدخل هو أن تأثير أي منهما لا يتجلى في شكل مؤثر دخيل يمثل إرادة خارجية تعبر عن مصالح تتناقض مع مصالح الفلسطينيين، بل يجد له استجابة فلسطينية مكملة بسبب امتداد كلتا الدائرتين في المكونات

الاجتماعية والثقافية والسياسية والعقيدية للفلسطينيين أنفسهم، بحيث لا يمكن تصور أي تشكل للإرادة الفلسطينية أو تبلور لأي مشروع وطني فلسطيني دون أن يكون لهاتين الدائرتين امتداد عضوي وتأثير على هذا التشكل والتبلور⁽¹⁸⁾.

وحاولت السياسة الإسرائيلية في تعاملها مع أي ملف في العالم العربي وملف الثورات العربية خاصة إلى تفتيت وتمزيق العالم العربي على الصعيد السياسي والديني، المذهبي، والطائفي، والأثني، وتطبيق هذه السياسة أو الرؤية مع الخطط الأمريكي. في الوقت نفسه تعمل آلة الإعلام الإسرائيلية إلى تلميع وجه إسرائيل كونها الديمقراطية الواحدة والوحيدة في الشرق الأوسط، وأنها بفعل نظامها السياسي تثبت الاستقرار فيها أكثر من أي دولة عربية وعلى رأسها مصر التي انهار فيها نظام مبارك، الذي كان يعتبر نظاماً مستقراً إلى يوم واحد قبل سقوطه وانهاره⁽¹⁹⁾. هذه السياسة سعت إلى بناء قوى مضادة للثورات في العالم العربي بدعم إسرائيلي مباشر أو غير مباشر، أي أن إسرائيل تعمل على تأجيج الصراعات والخلافات الطائفية والمذهبية في كل بلد عربي، هذا ما تفعله بقوة في الملف السوري، فإثارة المارد الطائفي يخلق توتراً بين أبناء الطوائف، وفي ذات الوقت يحدث شرخاً اجتماعياً سرعان ما يتحول إلى سياسي وعسكري، هذا وتتناغم السياسة الإسرائيلية مع السياسة الأمريكية المعتمدة التمزيق وتكوين كيانات جديدة متصارعة فيما بينها.

لقد وفرت التطورات في البيئة العربية لإسرائيل فضاء من التحرك بحرية لتحقيق مكاسب سياسية على الصعيد الدولي، ومكاسب إقليمية على صعيد الشرق الأوسط، وعلى الصعيد الداخلي بتثبيت نظام الحكم فيها، والظهور بكونها دولة قوية سياسياً ومستقرة اقتصادياً واجتماعياً، وأنها وفرت وتوفير لمواطنيها كافة احتياجاتهم في منظومة حياتية متكاملة⁽²⁰⁾. وقد انعكست الثورات العربية (الربيع العربي) على التوجهات الإسرائيلية نحو المسألة الفلسطينية، فمع اندلاع الثورات العربية، قدمت إسرائيل انطباعاً للعالم نحو نيتها التقدم في مسار التسوية، تحت ضغط التطورات الحاصلة في المشهد العربي، وضبابية البيئة الإقليمية حيث شعرت إسرائيل في بداية الأمر أن هذه التطورات والاحداث سوف تضر بمكانة إسرائيل الإقليمية "مرحلة الصدمة"، إلا أنها تراجعت

18 - السنوسي، صالح، القضية الفلسطينية في زمن الربيع العربي، الجزيرة نت، 2014، على الرابط <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/1/29/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9->

19 هناك عشرات بل مئات من الوثائق التي تم نشرها منذ أعوام مضت، وخاصة ما عرف بوثائق ويكيليكس 2011، ولكن أشهرها وثيقة رالف بيتر "إعادة هيكلة خريطة الشرق الأوسط"، في وثائق مختارة في تفتيت الوطن العربي، سلسلة دراسات وثائقية 1، صادرة عن حزب البعث العربي الاشتراكي 2009، ويقترح تقرير بيتر أن يتم تفويض أركان دول وإعادة رسم كيانات لدول جديدة وابتعث أخرى من العدم.
20 منصور، جوني: "أثر الثورات العربية على عملية السلام في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص 63.

لاحقاً عن هذا الوجه "العلمي المراوغ" إلى توجه يهدف لإبقاء الوضع على ما هو عليه، رغم محاولات السلطة الفلسطينية لإعادة تدويل القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة⁽²¹⁾.

وعقب ذلك سعت إسرائيل إلى تعظيم الاستفادة من التطورات البيئية الإقليمية، فقد عملت إلى اتخاذ موقفاً لها وسط الموقف الإقليمي شديد السيولة الذي تسبب فيه وقوع كثير من جيرانها فريسة للاضطراب الداخلي، فضلاً عن حلحلة الوضع الجيوسياسي الناتج عن التنافس السعودي الإيراني وكذلك تزايد حالة الصلف الروسي في مواجهة الانسحاب الأميركي الملاحظ. وفي هذا السياق، تبرز إسرائيل باعتبارها أكثر المستفيدين من اضطراب النظام الإقليمي في أعقاب الثورات العربية. فعلى الرغم من حالة الفوضى التي تنتشر في كثير من البلدان المجاورة لإسرائيل، فمن المؤكد أن ثمة مجموعة من العناصر المرتبطة بالنموذج الإقليمي الحالي التي تستفيد منها إسرائيل من الناحية الأمنية.

فقد انزلت أقدام إيران ووكلائها بالمنطقة، أبرزهم حزب الله، في وحل عدد من الحروب الإقليمية، أما إسرائيل، فقد تسبب عزمها وقدرتها المؤكدة على استخدام القوة الحربية بسوريا للدفاع عن مصالحها؛ في مزيد من حالة الهدوء الذي فرضته بطول حدودها. وفي غضون ذلك، تشكل حالة النقطة التي تعاني منها كيانات الدول الوطنية التقليدية، التي أنتجت في الأساس عبر سلسلة من النظم السياسية بدءاً من اتفاقية سايكس بيكو، مقدمة لآفاق التحالفات الإسرائيلية الجديدة مع مجموعات الأقليات مثل الأكراد والدروز⁽²²⁾. فمنذ انحصار ظاهرة الإسلام السياسي، وانتشار حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني في المنطقة العربية، تبنت إسرائيل خطاباً مغايراً للتعامل مع المسألة الفلسطينية، وذلك نابع من تغيرات البيئة الإقليمية بالأساس، فهي تصرح بأن أي تسوية للصراع مع الفلسطينيين يجب أن يكون عبر بوابة العالم العربي، كجزء من تسوية إقليمية عربية تساهم في حل المسألة الفلسطينية، والوصول لتسوية سياسية مع الشعب الفلسطيني، حيث أن إسرائيل تبنت رؤية جاءت انعكاساً للأحداث الجارية في المنطقة العربية، تقوم على أساس تطبيع العلاقات مع العالم العربي كمدخل لتسوية القضية الفلسطينية⁽²³⁾.

وترى إسرائيل إنه من خلال النموذج الحالي، ليس ثمة من يمكنه تحدي قدرة إسرائيل على الإبقاء على الوضع الحالي، فيما يتعلق بمسألة الأراضي الفلسطينية، أو من يمكنه فرض تكاليف باهظة

21- مصطفى، مهدي، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والمسألة الفلسطينية، مرجع سابق ص73

22 Zeynep Coskun, *Israel and the Palestinian issue in light of the troubled regional system after Arab Spring* <http://sharqforum.org/2016/08/23/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9> ،

23 مصطفى، مهدي، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والمسألة الفلسطينية، مرجع سابق ص74

عليها في حال استمرار الاحتلال، فقد فاقمت حالة التنافس بين اللاعبين الإقليميين من حالة الفرقة في الداخل الفلسطيني، كما أعادت القرار الفلسطيني، فالصراعات العنيفة في سوريا والعراق وليبيا واليمن - على سبيل المثال لا الحصر - جمعت أجنادات السياسات الأجنبية لقادة العالم، مما يعني أن كثيرين يرون أن القضية الفلسطينية ذات تبعات استراتيجية أقل مما كانت عليه بالنسبة للشرق الأوسط. وطالما وصف نتياهو دولته "إسرائيل" بأنها شريك أساسي للحكومات العربية في قضايا محاربة الإرهاب والإسلام الأصولي وإيران، وهم الخصوم الثلاثة الذين يخطط دائماً بينهم، فعلى سبيل المثال، في مارس/ آذار 2016، أوضح نتياهو أن "الدول المختلفة تتفهم أن إسرائيل ليست عدوة العالم العربي، بل إنها شريكته في الصراع المشترك ضد عناصر الإسلام الأصولي"، ويمكن أن يُنظر إلى تصنيف مجلس التعاون الخليجي لحزب الله بأنه جماعة إرهابية في مارس/ آذار 2016، على أنه تصديق للاعتقاد القائل إن إسرائيل يمكنها أن تتشارك الاهتمامات مع العالم السني ضد إيران ووكلائه (24). وعززت الزيارات الأخيرة لإسرائيل التي قام بها عدد من المبعوثين السعوديين البارزين ووزير الخارجية المصري، سامح شكري، من ذلك الاعتقاد، إذ أنهم ناقشوا خلالها احتمالية تحقيق سلام إقليمي، ولاسيما أن الفكرة التي توجي بأن توسع الدور الإقليمي في عملية السلام قد يتسبب في حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، بدت جاذبة لوزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي "فيدريكا موغيريني" والقادة الأوربيين الآخرين. إلا أنه يبغى على أوروبا أن تحذر من الجهود الإسرائيلية لخداعهم من أجل الوصول إلى عملية ذات نهاية مفتوحة مرة أخرى بمساعدة مصر، ولا يخفى على أحد أن كليهما يبدو أنه يستخدم تلك العملية باعتبارها حيلة لتحقيق مصالح شخصية أكثر من كونه يسعى ورائها من أجل تحقيق اتفاقية سلام ممكنة مع الفلسطينيين (25).

لا شك إن المشهد الإقليمي الحالي أتاح لإسرائيل تقويض المساعي الفلسطينية للاعتراف، في مقابل تحقيق مسعاها بالتطبيع، فقد أكدوا قادة إسرائيل أكثر من مرة أن حل القضية الفلسطينية لم يعد مطلباً، حتى في العالم الإسلامي، من أجل الاعتراف بإسرائيل وقبولها شريكاً استراتيجياً، وصف مسؤولون أوروبيون وساسة إسرائيليون حالة التوافق المشهودة بين المصالح الإسرائيلية، بأنها فرصة تاريخية -ستغير بدون شك وجه المنطقة.

²⁴ Zeynep Coskun ,Israel and the Palestinian issue in light of the troubled regional system after Arab Spring ، <http://sharqforum.org/2016/08/23/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9>

²⁵ Zeynep Coskun ,Israel and the Palestinian issue in light of the troubled regional system after Arab Spring ، <http://sharqforum.org/2016/08/23/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9>

المحور الثاني:

أثر التحولات العربية على مدينة القدس والمقدسات فيها.

كانت ولا تزال مدينة القدس هدف استراتيجي للحركة الصهيونية بكل احزابها وطوائفها، من أجل السيطرة عليها عبر سياسة ثابتة وممنهجة، تقوم على أساس تعزيز الاستيطان الديني فيها، من قبل الحركات والأحزاب اليهودية، لذلك وضعت أولى اللبانات الأولى للمشروع الاستيطاني التوسعي في مدينة القدس منذ اللحظة الأولى للمشروع الصهيوني في فلسطين، فقد سعت إسرائيل للاستفادة من التحولات الإقليمية في المشهد العربي والإقليمي، بما يعزز عملية تهويد القدس وزيادة عدد المستوطنين فيها، وطرح سكانها وتغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى المبارك.

أولاً: السياسة الإسرائيلية تجاه القدس قبل التطورات الإقليمية

يمثل الاستعمار الاستيطاني ولا يزال منطلقاً مركزياً للعمل الصهيوني، إذ تم اعتماده سبيلاً لتجسيد المشروع الصهيوني في فلسطين، فالصهيونية حولت اليهودية من ديانة روحية شأنها شأن باقي الديانات إلى رابطة قومية عنصرية، وطرحت "المسألة القومية" حلاً لليهود، يقوم على أساس بناء دولة قومية، لذلك كانت فكرة إسرائيل الكبرى التي شكلت فكر القوى اليمينية المتطرفة حجر الأساس التي بنيت عليه خطط الاستيطان في فلسطين، وخاصة بمدينة القدس²⁶. فقد عارضت الأحزاب الدينية قيام دولة فلسطينية، وأية سيادة أجنبية غربي نهر الأردن، وأن إسرائيل وحدها ستكون موجودة بين نهر الأردن والبحر المتوسط، ورفضت عودة اللاجئين، والانسحاب من الجولان، كما طالبت بإلغاء قرار تجميد عمليات الاستيطان، والعمل على تعزيز الاستيطان وعدم إزاحة أية مستوطنة يهودية من مكانها، وضمان أمن المستوطنين، وأكدت التمسك بالقدس كعاصمة موحدة أبدية للدولة، ونادت بالعمل على تكثيف عمليات البناء في المدينة وضواحيها. أما الحركات الصهيونية الدينية المتطرفة "غوش إيمونيم وكأخ"، فتدعو إلى ترحيل الفلسطينيين وقتلهم، وممارسة أي أعمال عنف تؤدي إلى طردهم من "أرض إسرائيل" وأدى الجدل في أوساط حزب المفدال حول اتفاقيات السلام مع الفلسطينيين إلى انشقاق الحزب وخروج النائب المتشدد "حنان بوارت" وانضمامه إلى حزب الاتحاد القومي برئاسة بيني بيغن، والجدير بالذكر أن حزب المفدال قد اعترف باتفاقية أوسلو كأمر واقع رغم عدم رضاه التام عنها⁽²⁷⁾.

²⁶ الرفاتي، إياد، الاستيطان في فكر الأحزاب الدينية الصهيونية في إسرائيل وأثره على عملية التسوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة فلسطين، 2013م، ص 21

²⁷ ماضي، سليم، دور الحزب البيت اليهودي في الحياة السياسية في إسرائيل، مرجع سابق ص 52

وتشكّل مدينة القدس رمزية الصراع العربي الصهيوني ومحوره ومكوّنه الحضاري والسياسي في آنٍ، واستمرار سياسة التهويد على أرض القدس وسكانها وأماكنها المقدسة منذ احتلال القسم الغربي من المدينة في حرب عام 1948، واستكمال احتلال القدس عام 1967 لا يجعل مجالاً للشك في الإجماع اليهودي من الموقف في القدس الذي يحمل مفردات، مصادرة الأرض، بناء المستوطنات، وتهجير الفلسطينيين من موطنهم في القدس، وإحلال المستوطنين اليهود مكان العرب، وإزالة معالمها العربية والإسلامية وإفقادها طابعها الديني والحضاري. ودأبت سلطات الاحتلال "الإسرائيلي"، على امتداد سنوات الاحتلال على العمل على تحقيق هدفها الاستراتيجي، بالسيطرة على مدينة القدس، واعتبارها عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل"، ومنع إعادة تقسيمها، وبالتالي عدم تمكين الشعب الفلسطيني من تحقيق حلمه الوطني في جعلها عاصمة لدولته العتيدة²⁸. وتزى أحدث الدراسات الإسرائيلية أن القدس لها المركز الديني والسياسي الأهم لدى "الشعب اليهودي" على مر العصور، وأن اشتقاق الحركة الصهيونية أسمها من أسم صهيون، وهو اسم آخر للمدينة في المصادر الدينية اليهودية، وتتمثل أهمية القدس لدى اليهود والأحزاب اليمينية الإسرائيلية من كونها (29):

- وجود ما يسمى "بجبل الهيكل" مكان الحرم القدسي الشريف، وهو المكان الأكثر قداسة لدى اليهود" حسب الدراسات الإسرائيلية.
- الصلة بين اليهود والقدس ليست مقتصرة على "جبل الهيكل" فقط، فكل المدينة القديمة مقدسة بكاملها.

وكانت مدينة القدس الأكثر تأثراً بسياسات الحكومة الإسرائيلية حيث شكلت هذه السياسة منعطفاً بارزاً لجهة تغيير معالم القدس، في محاولة لفرض واقع يهودي جديد، يطمس المعالم العربية في المدينة، يصعب الفكك منه في حال تمت مفاوضات مستقبلية، فمنذ اللحظة الأولى لاحتلال إسرائيل مدينة القدس، باشرت بعمليات مصادرة الأراضي وهدم البيوت وتهجير السكان، وإقامة المستوطنات داخل الشطر الشرقي من القدس وحولها تمهيدا لعزلها عن باقي المناطق العربية المجاورة⁽³⁰⁾. تركت المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المقدسية مجموعة من الآثار الاجتماعية تمثلت في التحدي الكبير لمشاعر المسلمين في القدس، على اعتبار أن القدس هي وقف إسلامي سلبها اليهود من أجل تهويدها، وطرد أهلها منها (31). فقد تعدد خلال السنوات

28 حماد، عبد القادر، عطية، تأثير النشاط الاستيطاني على القطاع السياحي في مدينة القدس، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا، 2011، على الرابط التالي: <https://goo.gl/L11r7Z>

29 إبراهيم، بلال، صالح، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس فلسطين، 2010، ص 35

30 العلية، رياض، وشاهين، أيمن، الأبعاد السياسية والأمنية للاستيطان الإسرائيلي في القدس ووضعيتها القانوني، مجلة جامعة الأزهر، المجلد 12، العدد رقم 1، غزة فلسطين، 2010، ص 915

31 الجندي، سليم، 1986: سياسة الكيان الصهيوني الاستيطانية وآثارها على الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة شؤون عربية، العدد 48، ديسمبر ص 87.

الماضية محاولات اقتحام المسجد الأقصى، وإقامة الشعائر الدينية اليهودية فيه، ومنع رفع الأذان، وتقسيم وزماني ومكان فيه، مما أثار مشاعر الشعب الفلسطيني، الأمر الذي أدى لانطلاقه انتفاضة القدس المباركة.

بالإضافة لخطر ما يقوم به المستوطنين من اعتداءات يومية على المقدسين العرب، لأنهم يرون أن ليس للعرب أية حقوق سياسية أو قومية في المدينة، بل يطالب المستوطنون بطرد المقدسين من ديارهم إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن بل يرفضون مجاورتهم في المدينة حيث أصدر رئيس الحاخامين السفريين الشرقيين مردخاي إيلياهو فتوى تنص على تحريم بيع الشقق لغير اليهود³². وتنفيذاً لهذه السياسة قامت إسرائيل بهدم حي المغاربة الإسلامي داخل أسوار البلدة القديمة بأكمله وأسكنت بدلاً منهم يهوداً. كما طردت أعداداً كبيرة من المقدسين في حي الباشورة، وحي باب السلسلة، بل هدمت عدداً من المساجد والزوايا والتكايا والمدارس الدينية وجميعها ذات مكانة دينية وتاريخية.

إضافة إلى إحكام الإغلاق على مدينة القدس لفرض حقائق جديدة على أرض الواقع في عاصمة الدولة الفلسطينية المرتقبة، إلى جانب خلق حقائق ديمغرافية جديدة جراء إجبار المواطنين الفلسطينيين على الهجرة القسرية من المدينة المقدسة، وتحويلها إلى مدينة خالية من الفلسطينيين، وقطع التواصل بين الفلسطينيين وتاريخهم الديني والتاريخي، وخلق وقائع جديدة تحول دون إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف⁽³³⁾.

وفي ظل التجاوز الذي ظهر في المبادرات السياسية والهادفة حقيقة إلى تصفية القضية الفلسطينية، منذ أوسلو 1993 حتى خريطة الطريق 2003، لفكرة إزالة الاستيطان واستبدالها بمفاهيم وتوجهات جديدة مثل وقف الاستيطان، ومنع توسيع الاستيطان، وإزالة البؤر الاستيطانية، والسماح ببناء طرق التوافقية واسعة لخدمة المستوطنات والربط بينه وكذلك ضم المستوطنات إلى الكيان الإسرائيلي، ناهيك عن نشر فلسفة المستوطنات الأمنية والسياسية والتفريق بينها، وفكرة التفريق بين الكتل الاستيطانية، والمستوطنات المتفرقة والمعزولة، حيث تتجاوز هذه التوجهات والمفاهيم الخطورة التي تشكلها عملية الاستيطان على مستقبل الشعب الفلسطيني ودولته المستقلة، وبالتالي تبرز أهمية التمسك بفكرة إزالة الاستيطان كما هي إزالة الاحتلال بوصفه مظهراً من مظاهره⁽³⁴⁾.

³² الدقاق، إبراهيم، 1988: السياسة الاستيطانية الإسرائيلية وانعكاساتها على قضية الإسكان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة المستقبل العربي بمصر، العدد 107، 4-29.

³³ إبراهيم، بلال، محمد، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2010، ص 153

³⁴ معتوق، ازدهار، الاستيطان الصهيوني وأثاره التدميرية على الشعب الفلسطيني، مجلة الوحدة الإسلامية، السنة الثالثة عشر - العدد 149 - 2014 م، ص 24

كما أن وجود المستوطنات يمثل تهديد خطيراً للأمن والاستقرار نتيجة تصرفات المستوطنين إضافة أنه وجودها يهدد الكيان الفلسطيني بالشرذمة والتجزئه؛ لأن السيطرة الإسرائيلية على الطرق والمعابر التي تربط بين المحافظات الفلسطينية، تجعلها تحت رحمة المستوطنين الذين باستطاعتهم إغلاقها متى شاءوا. إن وجود المستوطنات قرب المدن الفلسطينية يجعلها مدناً حدودية تستطيع إسرائيل متى شاءت إغلاقها، أو ضربها؛ كما حدث خلال انتفاضة الأقصى عندما قصفت مدن نابلس ورام الله وبيت جالا والخليل وجنين، وهذا يعني تهديداً أمنياً لكيان الدولة الفلسطينية؛ وبالتالي تهديد لجوهر السيادة الفلسطينية. إن تمتع هذه المستوطنات بالحماية الأمنية يتطلب وجوداً عسكرياً إسرائيلياً لحمايتها، وهذا يعني وجود دولة داخل دولة، مما ينعكس على الأمن الوطني للدولة الفلسطينية؛ لذا، فإن أحد أبرز أهداف المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية، التركيز على تحييد هذا التهويد الاستيطاني برفض أي اقتراحات بضم المناطق الاستيطانية لإسرائيل، أو تحويلها لجيوب سيادية في وسط الدولة الفلسطينية (35).

من أهم نتائج سياسة الاستيطان الإسرائيلي في القدس، فقدان أجزاء واسعة من الأراضي الفلسطينية عبر المصادرة والإغلاق ووضع اليد وتقييد البناء. إن نسبة الأراضي المتاحة البناء عليها في منطقة J1 لا تزيد عن 8% من أراضي هذه المنطقة الحد من التواصل بين مدينة القدس والمحيط العمراني الجنوبي لمحافظة رام الله والبيرة، والتواصل العمراني الشمالي لمحافظة بيت لحم (36) ما ترتب على ذلك من تقليص المساحة الممنوحة العرب من أجل حرية الحركة والنمو السكاني فيها (37). ومن تلك الآثار إقامة المصانع اليهودية في تلك المستوطنات المعتمدة على الأيدي العربية وعدم السماح ببناء مصانع في التجمعات السكانية العربية (38)

ثانياً: السياسة الإسرائيلية تجاه القدس بعد التطورات العربية

لقد حاولت إسرائيل الاستفادة من التحولات في البيئة العربية وانشغال العرب بقضاهم الداخلية والصراع الطائفي من أجل تثبيت حقائق جديدة على من خلال سياسة الاستيطان والتهويد في

35 المصدر السابق، ص 25

36 الجهاز المركزي للإحصاء، المستعمرات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، التقرير الإحصائي السنوي 2011، رام الله

2011، ص 32

37 الدقاق، إبراهيم، السياسة الاستيطانية الإسرائيلية وانعكاساتها على قضية الإسكان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة المستقبل العربي، القاهرة 1988، العدد 107، 4-29.

38 قيطة، محمد أمير، المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة" رسالة دكتوراه منشورة، دار المنارة، غزة، فلسطين، 2008، ص 289.

مدينة القدس المحتلة بهدف خلق أغلبية يهودية داخل القدس بشقيها الشرقي والغربي، السيطرة على الوجود السكاني الفلسطيني في المدينة، والتحكم في نموه، بحيث لا يتجاوز 27% من مجموع السكان للمدينة بشقيها. ولتحقيق هذين الهدفين، المرتبطين بالهدف الاستراتيجي العام السابق عملت "إسرائيل" على ثلاثة محاور (39):

أ- إنشاء حلقة المستعمرات الاستيطانية الخارجية التي تحيط بمدينة القدس لمحاصرتها وعزلها عن بقية أجزاء الضفة، وتضمن 20 مستوطنة تشكل أكثر من 10% من مساحة الضفة الغربية، وتعتبر جزءاً مما يسمى (القدس الكبرى) ومن هذه المستوطنات: معاليه أدوميم شرقاً، وراموت غرباً، وجبعات زئيف شمالاً وجيلو جنوباً.

ب- إنشاء الحلقة الداخلية من المستوطنات التي تهدف إلى تجريف وعزل التجمعات الفلسطينية داخل مدينة القدس الشرقية، وضرب أي تواصلٍ معماريٍّ أو سكاني بينها، بحيث تصبح مجموعة من الأحياء الصغيرة المنعزلة بعضها عن بعض، فيسهل التحكم بها والسيطرة عليها، وقد أقيمت المستعمرات على أراضي بيت حنينا، النبي صموئيل، شعفاط، الشيخ جراح، بيت صفافا، وادي الجوز، صور باهر، سلوان، وأم طوبى. ومن هذه المستوطنات: ماونت سكوبيس، وراموت أشكول، وشرق تلبوت، وعطروت، والتلة الفرنسية.

ت- وخلق تجمّع استيطاني يهودي يحيط بالحرم القدسي الشريف، وخلق تواصل واتصال ما بين هذا التجمع الاستيطاني وبلدات الطور ورسا وراموت ومنطقة الجامعة العبرية ومستشفى هداسا، وذلك من خلال ربط الحي اليهودي وساحة المبكى وباب السلسلة، وعقبة الخالدية وطريق الواد، وطريق الهوسبيس مع تلك المناطق.

وأدت التحولات التطورات الإقليمية واستمرار الانقسام الفلسطيني إلى مربع آخر من مربعات العبث والضياع، يخطو الصهاينة خطوةً أخرى نحو تهويد المسجد الأقصى المبارك تحت سمع وبصر العرب والمسلمين، وبخلاف ما كانت عليه الأمور في السابق فإن مخططات تهويد المسجد الأقصى أصبحت واضحة المعالم، ولم يعد العمل على تطبيقها يقتصر على جماعات يهودية هامشية، بل إن جهاتٍ رسميةً حكوميةً إسرائيلية أصبحت تنادي علناً وبشكل صريح بتقسيم المسجد الأقصى بين اليهود والمسلمين، على غرار ما هو عليه الحال في المسجد الإبراهيمي في الخليل.

³⁹ حماد، عبد القادر، تأثير النشاط الاستيطاني على القطاع السياحي في مدينة القدس، وكالة الأنباء والمعلومات وفا، 2011، على الرابط: <https://goo.gl/YbXvOg>

نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي سيلفان شالوم ووزير التهديدات الاستراتيجية موشيه يعلون كانا واضحين تمامًا عندما اعتبرا أنه لا يوجد أي مانع من استنساخ تجربة المسجد الإبراهيمي في المسجد الأقصى (40).

وحولت فكرة السيطرة والسطوة من قبل الاحتلال الإسرائيلي على المسجد الأقصى إلى بث أفكار تمهد لتهويده، من قبيل أفكار التقسيم المكاني والزمني بين المسلمين واليهود، فتغيرت سياسة الاعتداء من مجرد اقتحام المسجد الأقصى وإيذاء المرابطين والمعتكفين داخله، إلى الاقتحام لتمهيد نشر فكرة التقسيم الزمني للمسجد وساحاته بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ليكون المسجد ملكًا للمسلمين أوقات الصلاة فقط وما عادها فهي أوقات المستوطنين للتواجد داخل ساحاته، كخطوة استباقية للتقسيم المكاني للمسجد الأقصى، فيما يعتبر فلسطينيون أن هدف التقسيم الزمني والمكاني الأساسي يتمثل في تغيير النهج المتبع من قبل الاحتلال من الاعتداء على المسجد الأقصى إلى الاعتداء على هوية المسجد الأقصى.

وتهدف المخططات الإسرائيلية إلى تهويد القدس عبر تغيير معالمها ومقدساتها الإسلامية والمسيحية؛ الدينية، والتاريخية، والثقافية، حتى البشرية، التي تدل على إسلامية هذه الأماكن والمقدسات، وتحويل كل ذلك إلى معالم يهودية وفق التصور التلمودي، حتى يتسنى لليهود أن يثبتوا أحقيتهم بهذه الأرض. يقوم اليهود بأعمال عدة للسيطرة على القدس على أكثر من محور وبوسائل شتى، من حيث القرارات الدولية، وسن القوانين الداخلية، والتغيير الديمغرافي والجغرافي، وفرض الأمر الواقع على مدينة القدس ومن هذه الأعمال التهويدية، ويقوم الاحتلال الإسرائيلي بتفريغ مدينة القدس من سكانها الأصليين واستبدالهم باليهود بطرق شتى منها (41):

1. مصادرة الأراضي والعقارات من أهلها، لا سيما الغائبين، وتهجير سكانها خارج المدينة، وذلك بسنّ قوانين تخدم مشروعهم، وفي نهاية المطاف منح هذه الأراضي لليهود من خلال إقامة مستوطنات في القدس ومحيطها.
2. عزل أحياء مقدسية بجدار الفصل العنصري، واعتبارها خارج مدينة القدس، ومنع أهلها من دخول القدس. على غرار العيزرية وأبو ديس والرام وضاحية البريد وغيرها.
3. سحب الهويات المقدسية من أهلها، ومنعهم بعد ذلك من الإقامة في القدس. إذ أنه منذ احتلال المدينة في عام 1967 وحتى عام 2007، سحبت السلطات الإسرائيلية الهوية من 8558 فلسطينياً من القدس الشرقية .

40 النعامي، صالح، تقسيم المسجد الأقصى.. تمهيدا لتهويده، موقع المجد الأمني، على الرابط التالي: <https://goo.gl/WRPCBK>

41 عيسى، حنا، مراحل تهويد القدس، شبكة فلسطين الإخبارية، بتاريخ 2017/9/20، على الرابط التالي:

<http://pnn.ps/news/259782>

4. بناء المستوطنات الصهيونية حول مدينة القدس بشكل دائري، وضمها إلى المدينة لتكثيف الوجود اليهودي لإعطاء صبغة يهودية للمنطقة، فهذا الطوق يشمل كل من المستوطنات التالية: "هار حوما" جبل أبو غنيم، "معاليه أدوميم" - أراضي أبو ديس، "بزغات زئيف" أراضي حزما وبيت حنينا، "نفي يعقوب" على أراضي بيت حنينا وضاحية البريد، "جبعات زئيف" على أراضي الجيب وبدو، "ريخيس شفاط" على أراضي شعفاط.

5. تضيق الخناق على المقدسيين، وتقليل فرص العمل لديهم ليضطروهم إلى الهجرة خارج القدس.

تلا تلك المحاولات في ترويج ونشر مثل هذه الأفكار لبسط السيطرة بشكل مشروع على المسجد الأقصى، حديث حزب الليكود الإسرائيلي مطلع العام 2017 حول فرضية تطبيق تلك الفكرة في التقسيم حال نجاحه في فرض سيطرته على المسجد الأقصى وذلك من خلال الاقتحامات المتكررة له، وافترض الحزب أنه سينجح في فرض فكرة التقسيم الزماني عنوةً تليها خطوة أخرى لفرض التقسيم المكاني بكثرة اقتحامات المسجد الأقصى من قبل المستوطنين وقوات الاحتلال، وقال الحزب آنذاك أنه حال اتمامه تلك الخطوات كما رتب لها، فإنه سينجح في بناء الهيكل الثالث مكان قبة الصخرة بمعاونة دولية ومحلية، وذلك وفق حسابات ومخططات الحزب الحاكم في إسرائيل الذي يتزعمه بنيامين نتنياهو، الذي حصد أغلبية المقاعد في الانتخابات التشريعية في مارس/آذار الماضي بزخم الدعوة إلى بناء هذا الهيكل⁽⁴²⁾.

وعلى الرغم من التكتّم الشديد على المخطط الصهيوني الرسمي الهادف إلى تهويد المسجد الأقصى ومنع المسلمين من الصلاة فيه، فإن الممارسات الصهيونية على الأرض تدل على أن هذا المخطط يشتمل على عدة مراحل، تتم على النحو التالي⁽⁴³⁾:

1- جعل تواجد اليهود ولا سيما المتطرفين في المسجد الأقصى مسألةً اعتيادية من خلال السماح لأكبر عدد منهم باقتحام المسجد والتجوال فيه تحت حماية رجال الشرطة الإسرائيلية، ومواجهة أي محاولة للتصدي لهم بيد من حديد.

2- محاولة جلب أكبر عدد من اليهود للمشاركة في اقتحام "الأقصى"، وجعل عمليات الاقتحام تتم في أوقات متقاربة، وقد كان من اللافت مؤخرًا كثرة المؤتمرات التي تعقدها الجماعات اليهودية المتطرفة لبحث سبل تهويد "الأقصى".

⁴² الحديدي، شيماء، التقسيم المكاني والزماني للمسجد الأقصى الذي تريده إسرائيل، ساسة بوست، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/dXqMae>

⁴³ النعامي، صالح، تقسيم المسجد الأقصى.. تمهيدا لتهويده، موقع المجد الأمني، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/WRPCBK>

3- تغيير الوضع القائم في "الأقصى" والذي كان سائدًا منذ العام 1967 من خلال ممارسة الضغوط على الحاخامية الكبرى في إسرائيل لتغيير الفتوى التي أصدرتها بُعيد احتلال القدس خلال حرب الأيام الستة والتي حظرت بموجبها على اليهود الصلاة في المسجد الأقصى.

4- طرح الساسة والنخب الفكرية اليهودية اقتراحاتٍ علنيةً لطرد الفلسطينيين من المسجد الأقصى تمهيدًا لبناء الهيكل وتهويد المكان بشكل نهائي.

كامل أن مشروع تقسيم المسجد الأقصى بين المسلمين وإسرائيل يحمل شقين وهما، التقسيم الزمني والتقسيم المكاني، وكانت إسرائيل قد بدأتها بشكل عملي بالفعل، أما الأول فيعني تخصيص أوقات معينة لدخول المسلمين المسجد الأقصى وأخرى لدخول اليهود، ويقنضي منه اقتسام ساعات اليوم وأيام الأسبوع والسنة بين اليهود والمسلمين، ومن خلاله يرى الجانب الإسرائيلي أنه يستوجب على المسلمون على مغادرة الأقصى من الساعة 07:30 حتى 11:00 صباحًا، وفي فترة الظهر من الساعة 1:30 حتى 2:30، وفترة الثالثة بعد العصر، لتخصيص هذا الوقت لليهود بحجة أنه لا صلاة للمسلمين في هذا الوقت لئتم السماح لليهود بأداء ثلاث صلوات في اليوم داخله، كما يتم تخصيص المسجد الأقصى لليهود خلال أعيادهم، والتي يقارب مجموع أعدادها نحو 100 يوم في السنة، إضافة إلى أيام السبت طوال السنة، كما يحظر رفع الأذان خلال الأعياد اليهودية (44).

كما التقسيم المكاني يهدف إلى تخصيص أماكن بعينها في المسجد الأقصى لكلاً من الطرفين، إذ يهدف إلى تخصيص أجزاء ومساحات من المسجد الأقصى يقطنها الكيان الإسرائيلي ليحولوها لكنائس يهودية لأداء صلواتهم فيها، وقام الاحتلال خلال الفترات السابقة بتصويغ طرق ومسارات خاصة لهم للتمهيد للتقسيم المكاني، ويشمل التقسيم المكاني كذلك بسط السيطرة بالقوة على جميع الساحات الخارجية للمسجد الأقصى أما الأماكن المسقوفة مثل مصلى قبة الصخرة والمصلى المرواني فتكون للمسلمين، ويشمل هذا التقسيم مخططات لبناء الكنيس اليهودي والهيكل، فلم تعد تخفى تلك المطامع، بل بات التصريح بها أمرًا عاديًا وحقًا مشروعًا كما يرى الجانب الإسرائيلي (45).

خاتمة

44 الحديدي، شيماء، التقسيم المكاني والزمني للمسجد الأقصى الذي تريده إسرائيل، ساسة بوست، على الرابط التالي:

<https://goo.gl/dXqMae>

45 المرجع السابق

سعت الحكومة الإسرائيلية للاستفادة من التطورات والتحولات الإقليمية بهدف دفع العرب لتقديم تنازلات لا يعترف الفلسطينيون أنفسهم بتقديمها، سواء فيما يتعلق بالحدود أو بالهوية اليهودية لدولة إسرائيل. وفي ذات الوقت، لا ترى إسرائيل حاجة حقيقية لتقديم تنازلات مريرة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية لكي تحصل من الدول الإقليمية على ما تمتلكه بالفعل، أو ما يمكن الحصول عليه في حالة استمرار الديناميكيات الحالية. وفي محاولة لوصف كيف أن التحول في التحالفات الإقليمية قد يمهّد الطريق أمام اتفاقية سلام دائم مع الفلسطينيين، يحاول نتنياهو ترسيخ فكرة أن عدم تطبيع العلاقات ينبغي أن تكون عاقبة اتفاق السلام مع الفلسطينيين. وأمام هذه المعطيات التحولات في البيئة الإقليمية التي سمحت لإسرائيل بنسج علاقات شبه طبيعية مع بعض الدول العربية، في إطار الحل الإقليمي الذي يشكل تهديد حقيقي على الحقوق الوطنية الفلسطينية، وفي مقدمتها حقه التاريخي في أرضه ومقدساته، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التوصيات، كان أهمها ما يلي:

أولاً: النتائج

- شهدت المنطقة العربية تحولات عميقة بعد انطلاقة الربيع، فقد ترك الربيع العربي تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، فقد تأثرت به كل دول المنطقة، بما فيها إسرائيل، إلا أن إسرائيل حاولت تسخير هذه التطورات لخدمة أهدافها التوسعية، عبر الاندماج في المكونات السياسية والثقافية للمنطقة.
- مع اندلاع الثورات العربية في كانون الأول 2010م واجهت إسرائيل مجموعة من التحديات تمثلت في مواجهة الملف النووي الإيراني، ومواجهة التغيرات السياسية والاستراتيجية المتسارعة في البيئة الإقليمية، وبخاصة في دول الجوار، وإدارة الصراع مع الفلسطينيين في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية، حيث عملت إسرائيل ولا تزال، على الاستفادة من انشغال العالم العرب بأنفسهم، لتعزيز مواقعها الإقليمي وتثبيت حقائق جديدة في الضفة والقدس.
- عملت إسرائيل على الاستعداد لسيناريوهات تفكك النظام السياسي القائم (الدولة الوطنية) وإقامة نظام اتحادي، عبر تحسين الروابط والعلاقات مع المجموعات العرقية الغير معادية لإسرائيل، مثل الأقلية الكردية والدروز وغيرهم، بهدف تحسين الوضع السياسي لإسرائيل في المنطقة، وتعزيز التعاون الاستراتيجي لها في الشرق الأوسط على المدى البعيد.
- استفادت إسرائيل كثيراً من الصراع الإقليمي بين السعودية وإيران في المنطقة، فقد طرحت نفسها حليف استراتيجي للدول العربية في مواجهة إيران والجماعات الإرهابية، مما عزز دور

إسرائيل الإقليمي، فهذا الوضع وجدت إسرائيل نفسها فيه قادرة على المناورة في شرق أوسط متغيرة ومتقلب، ووجدت نفسها أيضاً قادرة على تجميد مقصود للعملية السلمية، وقادرة أيضاً على الاستمرار في تصوير المشروع النووي الإيراني بأنه أكبر خطر في التاريخ على إسرائيل ذاتها وعلى العالم أجمع، وأن الربيع العربي لا يشكل خطراً عليها في الظروف الراهنة التي يعيشها العالم العربي.

• أدت التحولات الإقليمية وانشغال العرب بقضاياهم من جهة، والسياسات الإسرائيلية نحو التكيف مع هذه المتغيرات من جهة ثانية، فرصة لإسرائيل لإعادة بلورة استراتيجية إقليمية تسعى من خلالها لتهميش الموضوع الفلسطيني، عبر تعزيز علاقاتها مع بعض الدول العربية، بإقامة علاقات حسن جوار بغض النظر عن حل القضية الفلسطينية.

• حاولت إسرائيل تصوير القضية الفلسطينية بأنها ليست ذات صلة بأمر التطبيع، في أعقاب تزايد فرص التعاون الاستراتيجي بين إسرائيل وبعض الدول العربية، رغم ذلك فإن غياب الحلول للصراع الإسرائيلي المستمر مع الفلسطينيين، سوف يبقى حجر العثرة الذي يعوق أي تطور في العلاقات مع الدول العربية.

• أصبح الحل الإقليمي للقضية الفلسطينية نقطة التقاء جميع القوى السياسية في إسرائيلي، فقد انعكست التحولات الإقليمية في البيئة العربية على رؤية الأحزاب والقوى السياسية الإسرائيلي من القضية الفلسطينية، فخلال السنوات الماضية التي أعقبت الثورات العربية ظهرت عدة تصورات إسرائيلية للتعامل مع القضية الفلسطينية، وفق منظور الحل الإقليمي، الذي أصبحت كل القوى السياسية الإسرائيلية تنادي به لحل القضية الفلسطينية.

• تعتبر مدينة القدس الأكثر تأثراً بالتحولات الإقليمية العميقة التي حاولت الحكومة الإسرائيلية الاستفادة من انشغال العرب بقضاياهم الداخلية بهدف تعزيز سياسة الاستيطانية، حيث شكلت هذه السياسة منعطفاً بارزاً لجهة تغيير معالم القدس، في محاولة لفرض واقع يهودي جديد، يطمس المعالم العربية في المدينة، يصعب الفكك منه في حال تمت مفاوضات مستقبلية.

• سعت إسرائيل للاستفادة من التحولات الإقليمية في المشهد العربي والإقليمي، بما يعزز عملية تهويد القدس وزيادة عدد المستوطنين فيها، وطرد سكانها وتغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى المبارك.

ثانياً: التوصيات

- يتوجب على الكل الفلسطيني؛ منظمة التحرير الفلسطينية والفصائل والقوى السياسية والاجتماعية، تحمل مسؤوليتها التاريخية والسياسية والأخلاقية، والتوحد في مواجهة هذه المشاريع التصفوية.
- العمل على ضرورة إنهاء الانقسام الأسود، واستعادة الوحدة الوطنية، بهدف التصدي الجدي لهذه الحلول التي تستهدف الحقوق الوطنية الفلسطينية.
- التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية، البيت الجامع لكل الوطني، والعمل على سرعة تطوير وتفعيل مؤسساتها عبر عقد جلسة للمجلس الوطني وانتخاب هيئات قيادية جديدة.
- ضرورة رفض كل القوى السياسية والاجتماعية لمشاريع الحل الإقليمي، التي تستهدف تسوية الصراع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية على حساب حقوقنا المشروعة.
- دعوة جامعة الدول العربية بالتأكيد على مبادئ عملية والسلام، ومنها مبدأ الأرض مقابل السلام، ورفض الحلول الإقليمية، ودعوة الدول العربية بضرورة عدم إقامة أي علاقات سياسية او دبلوماسية، إلا بعد التزام إسرائيل.
- تقديم كافة أنواع الدعم المالي والاقتصادي والاجتماعي لمدينة القدس، من أجل تعزيز صمود المواطنين المقدسيين والحد من تأثير الإجراءات الإسرائيلية بحق المدينة المقدسة.

المراجع والصادر

أولاً: الكتب

- دويدري، رجاء، وحيد: البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر، دمشق: 2000م.

- مصطفى، مهند، إسرائيل والبيئة الإقليمية التحولات الاستراتيجية والحالة الفلسطينية، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية (مسارات) رام الله فلسطين 2016م.

ثانياً الرسائل العلمية

- ابراهيم، بلال، صالح، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح، نابلس فلسطين، 2010م.

- إبراهيم، بلال، محمد، الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2010م.

- قيطة، محمد أمير، المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة" رسالة دكتوراه منشورة، دار المنارة، غزة، فلسطين، 2008م.

- الرفاتي، إياد، الاستيطان في فكر الأحزاب الدينية الصهيونية في إسرائيل وأثره على عملية التسوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة فلسطين، 2013م.

- ماضي، سليم، عبد السلام، حزب البيت اليهودي وأثره على الحياة السياسية في إسرائيل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة فلسطين، 2016م.

ثالثاً: الدراسات والتقارير

- أبو كريم، منصور، البعد الإقليمي في تقرير الأمن القومي الإسرائيلي، ورقة عمل في مؤتمر قراءة في تقرير الامن القومي الإسرائيلي (فرص وتحديات) مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية، 2016.

- أنظر: تقرير الامن القومي الإسرائيلي، معهد الامن القومي الإسرائيلي، جامعة تل ابيب، ترجمة مركز رؤية للدراسات الاستراتيجية، غزة فلسطين 2016، ص 9:10

- الجهاز المركزي للإحصاء، المستعمرات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، التقرير الإحصائي السنوي 2011، رام الله 2011، ص32

- دراسة بعنوان: برامج الأحزاب الإسرائيلية: مفاوضة الفلسطينيين لعبة لمنع السلام، موقع الكرامة برس، 2016، على الرابط،

<http://www.karamapress.com/arabic/index.php?Action=PrintNews&ID=1>

67572

- ملخص تقرير الأمن القومي الإسرائيلي (الفرص والتحديات)، ترجمة مركز رؤية للدراسات السياسية والاستراتيجية، غزة فلسطين، 2016.
- منصور، جوني، معجم الإعلام والمصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) رام الله فلسطين، 2009.

رابعاً: المجلات والصحف

- الجندي، سليم، سياسة الكيان الصهيوني الاستيطانية وآثارها على الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة شؤون عربية، العدد 48، 1986.
- الدقاق، إبراهيم، السياسة الاستيطانية الإسرائيلية وانعكاساتها على قضية الإسكان الفلسطيني في الأراضي المحتلة، مجلة المستقبل العربي، العدد 107، القاهرة 1988،
- العلية، رياض، وشاهين، أيمن، الأبعاد السياسية والأمنية للاستيطان الإسرائيلي في القدس ووضعيته القانونية، مجلة جامعة الأزهر، المجلد 12، العدد رقم 1، غزة فلسطين، 2010.
- فهمي، طارق: "الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية"، مجلة الديمقراطية، مصر - الأهرام، مجموعة 12، ع46، 2012.
- معتوق، ازدهار، الاستيطان الصهيوني وآثاره التدميرية على الشعب الفلسطيني، مجلة الوحدة الإسلامية، السنة الثالثة عشر . العدد 149 . 2014 م.
- الهندي، عليان، "القراءة الإسرائيلية للثورات العربية"، شؤون فلسطينية، فلسطين، المجلد/ العدد 247، 2012.

خامساً: مواقع الأنترنت

- أبو عامر، عدنان، الربيع العربي وإسرائيل، الجزيرة نت، على الرابط التالي:
<https://goo.gl/kLn7x8>
- السنوسي، صالح، القضية الفلسطينية في زمن الربيع العربي، الجزيرة نت، 2014، على
الرابط التالي: <https://goo.gl/SBYNvg>
- شأؤول يناي : "الحرب الباردة في الشرق الأوسط" إيران إسرائيل"، موقع عبري ممكن التفكير، مترجم، تاريخ النشر: 14 نوفمبر 2014، على الرابط التالي:

<https://translate.google.ps/translate?hl=ar&sl=iw&u=http://canthink.c-o.il/&prev=search>

– كسانيا سبطلوفة، العلاقات الإسرائيلية - العربية ما بعد الربيع العربي، موقع المصدر الإسرائيلي، 2013، على الرابط التالي: <https://goo.gl/2nDDUJ>

– حماد، عبد القادر، تأثير النشاط الاستيطاني على القطاع السياحي في مدينة القدس، وكالة الأنباء والمعلومات وفا، 2011، على الرابط: <https://goo.gl/YbXvOg>

– النعامي، صالح، تقسيم المسجد الأقصى.. تمهيدا لتهويده، موقع المجد الأمني، على الرابط التالي: <https://goo.gl/WRPCBK>

– الحديدي، شيماء، التقسيم المكاني والزمني للمسجد الأقصى الذي تريده إسرائيل، ساسة بوست، على الرابط التالي: <https://goo.gl/dXqMae>

المراجع الأجنبية

- Zeynep Coskun ,Israel and the Palestinian issue in light of the troubled regional system after Arab Spring
<http://sharqforum.org/2016/08/23/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B6%D9%8A%D8%A9>.